الخطاب الذي ألقاه الدكتور إبراهيم الجعفري

في المؤتمر الدولي الأول للصحوة الإسلامية

والمنعقد في طهران للفترة 17-2011/9/18

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته..

قال الله (تبارك وتعالى) في محكم كتابه العزيز:

((أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)).

حين نطلق كلمة الصحوة يجب أن نعي أن الصحوة تعني أن فصل السبات الذي دام طويلاً قد انتهى، وأن الوعي قد بدأ، ووصل إلى حد سبر غور المجتمع بكل ما فيه من تحديات، وما فيه من أهداف أخذ يحرك مفاصل المجتمع، وهكذا تنتقل الصحوة في بلد ما من كونها صحوة إلى انتفاضة، أو إلى ثورة، أو إلى دولة؛ لذا تبقى الصحوة مطلوبة على كل الصُعُد، ولا نستطيع أن نتصور صحوة جامدة كانها جثة هامدة ليس فيها حياة ولا حراك.

اقترنت الصحوة بالثالوث الحركي (وسط اجتماعي كان غافلاً في نومة عميقة مطلوب تحريكه، وأهداف ومستوى بعيد الأمد مطلوب الوصول إليه؛ حتى ينتقل المجتمع من الصف المتخلف إلى الصف المتقدم، وآلية تتولى عملية الحراك وهي الحركة).

هذا هو الثالوث الحركي الذي يرتبط عادة بالصحوة، ولا قيمة للصحوة ما لم تقترن بهذا الثالوث الحركي والثورة أحياناً تتحول إلى انتفاضة عندما تكون أهدافها محدودة كثورة الطحين أو حرب الطحين في فرنسا عام 1775، أو انتفاضة الخبز، أو الكناسين في فرنسا، وأحياناً يكون مفهوم الثورة مختلفاً عن مفهوم الانتفاضة، فعندما يتحرك الشعب كل الشعب من أجل تغيير النظام كل النظام تبلغ الثورة مداها.. نحن اليوم نعيش عصر الثورات، ومن وحي عنوان المؤتمر الأول للصحوة الإسلامية نجد أن الصحوات التي اندلعت، واجتاحت منطلقة في هذا العام من تونس، واستلهمتها أرض الكنانة في مصر، ثم ذهبت إلى ليبيا، ثم اجتازت اليمن، ثم إلى البحرين، وهي تستعر.. إنها ثورة إسلامية بالمعنى الدقيق لكلمة الإسلامية..لا مشاحة في الألفاظ والمصطلحات إذا أردنا أن نسميها (ثورة فطرية):

((فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)).

هل الفطرة إلا الدين، لا مشاحة في الألفاظ والمصطلحات.. نحن معها وهي ثورة إسلامية، لكننا لا نريد إسلاموية تختنق في الذات، وتقصي الآخر إنما نريدها إسلامية بالمعنى الإنساني الذي تنفتح فيه كل الآفاق، وتحتضن الآخر، وتجيد تطبيق القرآن الكريم.. حين يقول القرآن:

((قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء)).

تتحدث من موقع إسلاميتها مع غير المسلمين، فكيف بك عندما تتحدث مع أبناء القرآن... القران الكريم يبعثنا إلى ميدان التعاطي مع أبناء الديانات الأخرى، فكيف بأبناء الكتاب الواحد، وأبناء القرآن الواحد**!؟**.

لابد أن ننطلق بقوة وثقة لتأكيد الهوية، إذا فقدت الثورة هويتها تُسرَق؛ فقيمة الصحوة هي أنها غير قابلة للسرقة، والقادة الذين سُرقوا منا، والثورات التي سُرِقت؛ لأنها فقدت الهوية، وحين تصل الهوية إلى حد الصحوة تحضر في وجدان الشَعب خطاباً، وخطيباً، وشعاراً، وأداءً، ومصداقاً، ومنهجية عمل، ونمطية تطبيق يصعب إن لم نقل يستحيل أن تُسرَق هذه الثورة؛ لذا يجب أن نعمّق الصحوة في نفوسنا أولاً... من أين نبدأ**:**

((إن الذين قالوا ربنا الله)).

نقطة البداية هي الحد الفاصل بين أن ترتقي، وتنتكس، بعد ذلك قال:

((ثم استقاموا))**.**

((أو من كان ميتاً فأحييناه)).

هذا معنى جديد للحياة في القرآن الكريم:

((وجعلنا له نوراً يمشي به)).

ليس بين الناس يمشي به، إنما في الناس يدخل إلى عقولهم وقلوبهم؛ فيحولهم من جثث هامدة إلى حراك تفاعل، وترتقي إلى المستوى المطلوب... من القلب تبدأ، هذا القلب عندما ينفتح على الله (تبارك وتعالى)، تتوافر فيه طاقة هائلة لا حدود لها،

وتبدأ هذه القوة المغناطيسية المعنوية بشد الوجود؛ فيستجيب الوجود بشد القلب.. هذا هو التضاهي القلبي الكوني:

((ولو ان أهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)).

الصحوة انطلقت من قلوب عامرة.. ربما لم يقرأ الغالبية ممن انخرطوا في الثورات كتباً، ولم يتخرجوا من أكاديميات، لكن اسألوا قلوبهم.. اسألوا هؤلاء الذين يمشون على الأرض بثقة:

((وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)).

تواضع، وعظمة بدون غرور... من أين جاؤوا بهذا الارتقاء:

((الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً في الليل)).

أخذت الآية تراتبية غير تقليدية، ما قالت قياماً وسجداً، إنما قالت سجداً وقياماً؛ لأن الساجد أقرب إلى الله (تبارك وتعالى)، وهو في السجود، ومنه في قيام الليل الذي يمنحهم هذه الطاقة الهائلة، وإلا بماذا نفسر هؤلاء الشباب والبنات وهم في عمر الورود يقدِمون بصدور عزلاء في ميدان اللؤلؤة؛ حتى تحول ميدان اللؤلؤة إلى لؤلؤة الثورات.. من أين جاؤوا بهذه الطاقة الهائلة!؟... إنها قلوب عامرة بالإيمان، ولا يقفون عند هذا الحد، بعد ذلك يسألون أنفسهم: أين الطريق.. كيف نتلمس الطريق:

((أفمن يمشي مُكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم)).

عندما يرفع الإنسان قدمه من الأرض يجب أن يفكر كثيراً... أين يضع قدمه.. أين تكمن مواطن القدم الصحيح؛ حتى نرتقي خطوة بعد خطوة، ونخطو الطريق شوطاً بعد آخر، ونبني كيان الثورة مكماداً فوق مكماد، ونمشي بوعي.. نمشي بفعل ومبادرة قبل أن نفكر بردود الفعل واستجابات؛ حتى يترك المارد الإسلامي قوة في الحركة متحضراً مؤثراً متفاعلاً ليس منفعلاً أمام الآخرين؛ ما ترونه الآن حالة طفو مرتبطة بعملية تجذرت في التاريخ.. ما نشهده اليوم على السطح الليبي في طرابلس له علاقة بـ (عمر المختار)، وما نشهده في المغرب العربي له علاقة بـ(عبد الكريم الخطابي)، وما نشهده في الجزائر له علاقة بالشهيد (عبد القادر الحسيني الجزائري)، وما نجده في مصر له علاقة بالشهيد (حسن البنا) و (سيد قطب)، وما

نجده في العراق له علاقة بالسيد الصدر، وما نجده في فلسطين له علاقة بالشيخ (عز الدين القسام)، والشيخ(احمد ياسين) ... كل هذه ليست معزولة عن السابق، وهذا هو معنى الآية القرآنية الكريمة:

((ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها)).

هذا هي العلاقة بين الأصل والفرع.. الأصل هو تلك الأفكار والقيم، ونحن نتقبل أن تتبدل شخصيات الثورة بشخصيات الدولة؛ لأن عقل الثورة قد يختلف عن عقل الدولة، وأن رجل الحكم قد يكون غير رجل المعارضة، لكني أقول لكم: إن الفكر والقيم في الثورة يجب أن تبقى ذات الفكر وذات القيم بالدولة، وإلا تُسرَق.. نتقبل تراتبية في المعارضة غير تراتبية الحكم، أما الفكر والقيم التي تصنع ثورة، والتي تحطم النظام المقبور لابد أن تتبنى صناعة النظام الجديد.

إخواني الأعزاء.. جئتكم اليوم من العراق، ولابد أن أقف وإياكم وقفة ولو سريعة عما يحصل في العراق خصوصاً أن مظلومية العراق بلغت حداً يشيب له الجنين، لقد ظُلِم العراق، وظُلِم الشعب العراقي؛ ولأن الفضائيات لم تزل تعيش عقدة (الغيتو) الحصار، ولأن إخواننا وأشقاءنا لا يعرفون عما يحصل في العراق اليوم لا يدركون أن العراقيين قدموا قطاراً من الشهداء وأي شهداء!؟.

الشعب الذي يقدم قرابة المليون شهيد، وهم قمم في الفكر كـ (محمد باقر الصدر، والشيخ عبد العزيز البدري، والشيخ ناظم العاصي، وعارف البصري، والبضعة الأولى من آل الحكيم، والكثير من هؤلاء الشهداء).. حدّث ولا حرج.. الشهيد هو الشهيد، لكنه حين يرتقي على السُلـَّم العلمي يكون أرفع منزلة وأعلى مقاماً ودرجة، والله (تبارك وتعالى)، يقول:

((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)).

((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)).

الشهيد هو الشهيد، لكن بأي طريقة كان يستشهد... يستشهد بالتيزاب وبالماكنة التي تقطّع بدنه قطعة قطعة، ويحرقونه حياً.. بعض شاشات التلفزيون برّزت هذا الدور حيث يموت الأطفال، ويُقتلون في العراق، ويستكثرون علينا أن نسميهم شهداء.

إخواننا وأعزاءنا وأشقاءنا..

أنا أعتقد أن من بركات هذه الدولة المباركة التي أسسها الإمام الخميني (قدس الله نفسه الزكية)، ويواصل قيادتها الإمام الخامنئي (حفظه الله ورعاه)، أن نجلس سوية لنتحدث تحت هذا السقف بهذا العدد الكبير والنوعي؛ لا يمكننا أن نزور بلدانكم كلها، وأصعب من ذلك أننا لا نستطيع أن نلتقي، ونقضي هذا الوقت؛ حتى نستمع إلى كلماتكم كلها، لكني تنورت بالكثير من الحقائق، وفي الوقت نفسه أقول لكم: إن العراق مظلوم، وورث تركة ثقيلة.. إحدى هذه التركات هو الاحتلال، وأن الشعب العراقي يتعرض إلى الحرب.. أنتم لا تدركون أن الفصائل الإسلامية كانت لا تريد الحرب لا لأنها لا تريد التغيير فقد قدمت سيلاً من الشهداء، لكنها ما كانت تريد أن تحل المشكلة بمشكلة أعوص... الحرب أصبحت تاريخاً، والاحتلال أصبح واقعاً على الأرض، فماذا نصنع؟.

لقد تضافرت جهودهم من أجل أن تتغير قوانين الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وفعلاً تحولت بجهود وليس بأدب الشعارات والتلاعن، وأرادوا أن يشعلوا فتنة طائفية في العراق، وأبى العراقيون جميعاً إلا أن يمسكوا النسيج العراقي مع بعضهم، ويحافظوا على وحدتهم، وحافظوا عليها.. ما كان هذا أمراً سهلاً أن يقطع القطار العراقي محطات الطريق السياسي، ويتجاوز هذه التحديات، ويصل إلى ما وصل إليه.

إخواني.. يجب أن نتعلم من كل أحد، وندرس ثورات العالم كلها، وليس عيباً أن ندرس الثورات، وليس عيباً أن ندرس القادة؛ حتى نستفيد منهم، وندرس الثورات الكبرى في التاريخ، وندرس الثورات التي سبقتنا، ونتعلم من أخطائها، ونتعلم من إيجابياتها.. الثورة الإسلامية المباركة في إيران حدثت عام 1979 لماذا نستحي منها؟.

(مادلين أولبرايت) وزيرة خارجية أميركا الأسبق تتحدث عن الثورة الإسلامية في إيران في كتابها (الجبروت والجبار.. في صفحة 47) بان المعلومات كانت تشير إلى أن هذه ليست ثورة إنما شغب، ثم اكتشفنا أنها ثورة في عداد الثورة الفرنسية والثورة الروسية.

مصطلح الثورات الكبرى اليوم كان مقصوراً على خمس، وأصبح ستاً... الثورة الإنكليزية عام 1677، والثورة الأميركية عام 1783، والثورة الفرنسية عام 1789، والثورة البلشفية عام 1917، والثورة الصينية عام 1949، والثورة الإسلامية في إيران عام 1979.

ما هو السر؟... الجمهورية الإسلامية لا تريد أن تصدّر مفخخات إلى دول العالم، لكنها لا تستطيع أن تمنع شعارات الثورة الجماهيرية التي اكتسبت، وتغلغلت في قلوب الناس، ولا تستطيع أن تمنع انعكاساتها على العالم؛ فأخذتها الشعوب لأن منطقها مشترك.. جمهور بيد عزلاء، وصدر عارٍ يواجهون المدفعية والأسلحة وقائد يتبسط، ولا تستحوذ عليه العقدة النخبوية، ويعيش مع شعبه، ويواسي شعبه، ويطبّق ما يقول، ولا يوجد ثمة تناقض بين الخطاب وبين الخطيب تماماً، وثقافة المرئي في قيادتهم كانت هي ذاتها ثقافة المسموع يسمعون، ويرون بأمّ العين، فيشعروه أنه موجود.

يجب أن ندرس هذه الحركة، فلا إيران بحاجة لنا، ولا نحن نسمح لأحد بأن يتدخل في سيادتنا... الشعب العراقي واجه مشاكل كثيرة، وواجه شدة، وواجه عنفاً، وواجه إرهاباً.. تطايرت أشلاء الكثير من أبنائنا في الفضاءات... في الحسينيات والمساجد والكنائس، وأبى إخوانكم وأخواتكم في العراق إلا أن يحفظوا وحدة الصف، ويجمعوا شملهم جميعاً.

أما ما يتعلق بالاتفاقية الأمنية، فكلمة التحالف التي تعبّر عن الكم الشيعي الكبير في البرلمان وكثير من إخواننا وأعزائنا من أبناء السنة، وحتى بقية المذاهب ينسجمون معنا في هذا الاتجاه؛ لذا قلناها أكثر من مرة: إن وجود القوات الأجنبية على الأرض العراقية لطخة عار في جبين العملية السياسية، ولازلنا نكرر، مهما كان الاسم، ومهما كانت المدة، ومهما كان العدد، ومهما كانت المبررات فنحن لسنا مع الوجود الأجنبي على الأرض العراقية، وأصل الوجود نعتبره مساً بالسيادة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجلسة الختامية

الجلسة الختامية للمؤتمر الدولي الأول للصحوة الإسلامية كانت برئاسة الدكتور إبراهيم الجعفري، وقد ألقى فيها كلمة قصيرة ضمّنها بعض المقترحات..

بسم الله الرحمن الرحيم
بعض الإخوة الذين تشرفت هنا بمعرفتهم ربما لم أكن سمعت بهم، والبعض الآخر ممن سمعت بهم لم أكن رأيتهم، أو رأيت عدداً منهم عبر شاشات التلفاز، وآخرون أعرفهم سابقاً، غير أن هذا اللقاء استطاع أن يقرّب البعيد الجغرافي، والقريب القلبي، والقريب العقلي مثلما كنت معكم في العمق الفلسطيني، والعمق اللبناني، وفي العمق البحريني، والليبي، والمصري وفي كل مكان.

ها أنا الآن أنظر إليكم، وأشم فيكم رائحة الإصرار، وأقرأ في بريق عيونكم الإصرار على بناء المستقبل، والصعود إلى سفح المجد حتى نصل إلى القمة.. كثيرة هي الرسائل التي أحملها في صدري، وأود أن أوجهها إلى شعوبكم، إذا كان يصعب إن لم يستحل عليّ أن أصل إلى شعوبكم، فلا يصعب عليّ أن أحمّلكم بعض هذه الرسائل.

لابد أن أقف وقفة احترام وإجلال وتقدير لشعب الكنانة، الشعب المصري، شعب الحضارة الثاني بعد العراق، وشعب الأزهر الشريف... الشعب المصري، صاحب الباع الطويل، حاضن جامعة الدول العربية، والبلد العربي الأكبر، وقبل هذا وذاك قدّم لنا سيلاً من الشهداء، والمفسرين وأصحاب الفكر، وبذكري لشعب مصر أذكر حبهم لأهل البيت (عليهم السلام)، وحب الإمام علي (صلوات الله وسلامه عليه) لمصر عندما قال لمالك بن الأشتر:
(يا مالك لقد وليتك خيار جندي).

قصد بذلك أهل مصر، وأهل مصر يحبون أهل البيت، وأنا متأكد أنهم يتمثلون بالآية القرآنية الكريمة:
((قل لا أسئلكم عليهم أجراً إلا المودة في القربى)).

وحين نقف أمام هذه الشريفة من القرآن الكريم، نتساءل:
لماذا لم يقل الله (تبارك وتعالى): قل لا أسئلكم عليه اجراً الا المحبة في القربى، لماذا قال المودة؟
لأنه يريد أن يميز بين المكنون في القلب والتعلق بالمحبوب حيث إن المصداق هو أهل البيت، وبين أن يتحول ذلك الحب المخزون والمختزن في القلب إلى فعل ينعكس تماماً على جوارحنا، كما هو الفرق بين الخشوع والخضوع.

هناك فرق بين المودة والمحبة.. المحبة تستلزم بالضرورة حتى تتحول إلى مودة حقيقية أن نجسّد هذه المحبة بولاء، وتعامل، من أراد أن يفهم القرآن لابد أن يفهم

أهل البيت، ومن أراد أن يفهم أهل البيت لابد أن يفهم القرآن، لأنهما متلازمان بنص الحديث الشريف.

إخوتي الأعزاء... قبل أن نفترق، أرجو أن نأخذ من القرآن كما تعلمنا منكم ومن أحاديثكم، وأن نحوّل مفهوم الأداء إلى مفهوم الإقامة، والقرآن الكريم يميز بين من يؤدي الصلاة وبين من يقيم الصلاة، وبين من يؤدي الصوم وبين من يقيم الصوم، ومن يؤدي الحج وبين من يقيم الحج..
هذا المؤتمر كان الأداء، وستبدأ إقامة المؤتمر بعد أن ينتهي زمن انعقاده، ويبدأ عقد التلاقي والعطاء والإشعاع إلى مدنكم أو إلى حيث تشاؤون.

تحياتي وتمنياتي لكم بالموفقية، وأرجو لأخي العزيز الدكتور (علي أكبر ولايتي) الموفقية، وأرجو أن يُشمَل هذا المقترح، ويُعطـَّر بالتنوع في المستشارية المزمع تشكيلها، فيضمنها ثنائيات، بل تعدديات التكامل من حيث التنويع، وأن لا ينسى المرأة... المرأة التي تصنع المجتمع لتكون عنصراً فاعلاً وأساسياً في هذه اللجنة.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.